المعايير السبعة في العربية والإنجليزية ودورها في الدراسات النصية: دراسة نظرية في ضوء اللسانيات النصية الحديثة

محمد فيصل*

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيّد المرسلين، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله البررة المتقين، وأصحابه الهادين المهديين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن الدراسات النصية عامة، ونحو النص خاصة، قد أصبح علما مستقلا له أصوله وقواعده، وأساليبه وطرائقه تُعنى به الأمم المختلفة خدمة لنصوصها، وعملا على فهمها فهما صحيحا، وتيسيرا على أبنائها عند تعاملهم مع النصوص الأدبية المختلفة والنصوص الدينية المقدسة لديهم، وقد أصبحت هذه الدراسات مجالا متميّزا للبحث في التقدم العلمي في الأوساط الأكاديمية في دول العالم عامة، وفي العالم العربي والإسلامي خاصة. فكثير من علماء العرب المحدثين الذين استفادوا من هذه الدراسات قاموا برد شديد على من أنكر وجود هذه الدراسات في النحو العربي، واتهم النحاة القدماء على أنهم كانوا نحاة الجملة ولم يكونوا يهتمون بالنص بأكمله، وفي هذا الصدد قاموا بترجمة كتب علماء الغرب لمعرفة أصولهم النصية، فانكشف لهم أن غير العرب كانوا يتعاملون مع نصوصهم بأساليب ومعايير وضعها العرب التي كانت تستعمل في الأحكام النقدية لنصوصهم العربية من حيث الجودة والرداءة، ومن حيث البلاغة والفصاحة، والفصل والوصل، والمقام الذي يقال فيه الكلام، والسبك النصي، والترابط أو التناسب بين النصوص عامة والنص القرآني خاصة، وما إلى ذلك.

---

* باحث بمرحلة الدكتوراه بقسم اللغويات، كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية العالمية ـ إسلام آباد، باكستان. وهو أيضًا باحث في مشروع هيئة التعليم العالي (HEC) بعنوان: علم اللغة النفسي وتأثيره في تعليم اللغة العربية للكبار.

١- جهود علماء الغرب في الدراسات النصية

من البنيوية إلى النصية: (From structuralism to textuality)

يعد علم اللغة النصي أحدث فروع اللغة، غير أنه يتميز عنها من جهة النشأة والتطور، إذ إنه لم يرتبط في نشأته أو تطوره ببلد معين أو بمدرسة معينة أو باتجاه محدد، بل على العكس، فإن أقطابه قد وجدوا بدايات هذا العلم في أعمال لغوية محددة ظهرت في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الميلادي على يد أبي اللسانيات الحديثة دي سوسير[١]، وفي أمريكا على يد بلومفيلد[٢] وتلاميذه. وعلى تعبير الدكتور أحمد عفيفي، ظهر هذا العلم نتيجة لمجموعة من الثقافات والعلوم المتنوعة بعضها لغوية وبعضها غير لغوية، وتطويرا لبحوث لغوية مكثفة قامت بها المدارس اللغوية الأوربية والأمريكية[٣]. وقد جاوز زليج هاريس [٤] في أعماله حدود الجملة إلى حدود النص أو

١- هو: فرديناند دي سوسير Ferdinand de Saussure ولد في جنيف ١٨٥٧م في أسرة لها حظ في العلوم والفنون، درس في جامعة لاينريش الألمانية، وكتب له أن يحضر ذلك النقاش العلمي الذي وقع بين كوريوس ونخبة من النحاة الجدد على رأسهم كارل بروجمان. وكان قد أنهى عمله في ١٨٧٨م المسمى: **رسالة في نظام الصوتيات في الهند أوروبية** وتحصل على درجة دكتوراه حول موضوع "حالة الجر المطلق في السنسكريتية" وهو ابن ٢٢ سنة. ولم يعن خلال فترة التدريس ١٨٨٠/ ١٨٩١م بفرنسا إلا بالنحو المقارن والتاريخ، وكذلك كان حاله بعد عودته إلى جنيف إلى غاية ١٨٩٦م. وفي ١٩٠٧م قرر العودة بعد انقطاع للتدريس لأسباب اجتماعية مر بها كان لها أثر في نفسه، وخلال هذه الفترة قدم بكل دقة آراءه التي حلم بأن تكون نظرية عامة لتفسير اللغة ودراستها، وأصبح من التقليدي القول بأن فرديناند دي سوسير هو أبو اللسانيات الحديثة، فبفضله أصبحت دراسة اللغة تتم وفق منهج علمي آني يتوخى الشمول والدقة وعدم التناقض. ينظر: بريجيتة باريشت، **مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي**، ترجمه وعلق عليه سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ١٩٩٦م، ص ٢٠٤-٢٠٥.

٢- ليونارد بلومفيلد Leonard Bloomfield أحد علماء اللغة الأمريكيين وأحد أهم الرائدين في مجال اللغويات البنيوية في الولايات المتحدة الأمريكية خلال الثلاثينات والأربعينات من القرن العشرين، ينظر: **معجم أعلام علم النفس**، باب الباء.

٣- أحمد عفيفي، **نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي**، مكتبة الزهراء، الشرق ١١٦، شارع محمد فريد القاهر، صفحة ١٠.

٤- هو: زليج هاريس Z.S. Harris عالم لغوي وفيلسوف، ولد في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٠٩م ، وتوفي عام ١٩٩٢م، أسهم في علم اللسانيات عامة وعلم اللغة النصي خاصة بعدة كتب وبحوث ونظريات مفيدة . ينظر: موقع الهاريس.

الخطاب[٥]، فإنه أول خبير لساني حديث يعتبر الخطاب موضوعا شرعيا للدرس النصي، فإن ثمة دراسات سابقة على أعمال هاريس يمكن أن تعد بحق البدايات الفعلية في تحليل الخطاب، كما قدمت هذه الدراسات بعض الأفكار النصية الجوهرية، ولكنها متناثرة ومحدودة[٦].

ثم تطورت الدراسات النصية في السبعينيات على يد فانديك Teun A.Van Dijk[٧] الذي يعد المؤسس الحقيقي لعلم النص أو نحو النص، وهو الذي وضع تصورا كاملا لنحو النص منذ بداية عام ١٩٧٢م في كتابيه[٨]، حيث فرق بين النص والخطاب في معنى واحد، يأخذ بعين الاعتبار كل الأبعاد البنيوية والسياقية والثقافية، فرأى أن ميدان علم النص يشمل ميدان اللسانيات بشكل خاص. من هنا يعد "فانديك" من أهم الرواد في تطور تلك النظرية[٩]. وصار هذا العلم علما مستقلا له أصوله وقواعده وله حدوده وقيوده الخاصة على يد "روبرت دي بوجراند Robert de Beaugrande"[١٠]

٥- ظهر مصطلح "تحليل الخطاب" ظهورا قويا في مجال البحث اللساني تبعا لرغبة مجموعة من اللسانيين في تجاوز مفهوم الجملة، باعتبارها الوحدة اللسانية الكبرى القابلة للوصف والتحليل، إلى وحدات أكبر، من قبيل: الملفوظ والنص والخطاب. وبذلك انفتحت اللسانيات على حقول معرفية متعددة، واستفادت من آلياتها وأدوات تحليلها، ومن قبيل: النقد الأدبي وعلم النفس وعلم الاجتماع... وأصبح من نتائج ذلك ظهور لسانيات النص، واللسانيات النفسية، واللسانيات القانونية ... ورغم ذلك فإن تحليل الخطاب يتجاوز الشرح والتفسير والتحليل ويربو على ذلك. إذ يعنى كذلك "بمواقع المتكلمين الاجتماعية وخصائصهم التلفظية التي تمنح خطابهم هوية تلفظية خاصة". وإذا كانت النشأة اللسانية لتحليل الخطاب أمرا مسلما به، خاصة منذ أن كتب اللساني البنيوي التوزيعي "زليج هاريس Z.Harris" بحثه **تحليل الخطاب** عام ١٩٥٢م، فإن تعريفه ظل غامضا، حيث يلتبس بمصطلحات أخرى مثل: النص والملفوظ، كما أن حدود ممارسة تحليله قد تباينت فيها الآراء وتعددت المناهج بالنظر لتضارب مناهج الدراسة والتحليل واختلاف الخلفيات المعرفية.

٦- سعيد حسن بحيري، **علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات**، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ص ٣٢.

٧- ولد هذا العالم في القرن العشرين في نيدر لينـد، فهو عالم لغوي كبير، وخاصة في ميدان علم اللغة النصي. وقد تطورت أفكاره النصية في النصف الثاني من القرن العشرين. ومن أهم أعماله في علم اللغة النصي عدة كتبه منها: **النص والسياق، الخطاب والسلطة**. موقع Teun A.van Dijk.

٨- *Text and Context, Explorations in the Semantics and Pragmatics of Discourse*, by Teun A. Van Dijk Longman. Linguistics.Library. And *Some Aspects of Text Grammar*, written by Teun A. Van Dijk.

٩- أحمد عفيفي، **نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي**، ص ١٠-١٣.

١٠- هو عالم من علماء علم اللغة النصي، وأستاذ بجامعة فلوريدا بالولايات المتحدة الأمريكية، فله عدة كتب في علم اللغة النصي من أهمها كتابه المشهور: *Text, Discourse and Process, Toward a Multi Disciplinary Science of Text,* published by Alex Publishing Corporation Norwood new Jersey, 1980.
ترجمه وعلق عليه تمام حسان باسم: **النص والخطاب والإجراء**، عالم الكتب بالقاهرة، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

و"دريسلر Dressler "[١١] في الثمانينيات، في تحديدهما للنص "بأنه حدث تواصل يلزم لكونه نصا أن تتوافر له سبعة معايير للنصية مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف واحد من هذه المعايير، وهي: السبك والحبك، والقصد والقبول، والمقامية والإعلامية والتناص. ويمكن تصنيف هذه المعايير السبعة فيما يتصل بالنص في ذاته؛ وهما معيارا السبك والحبك، وما يتصل بمستعملي النص، سواء أكان المستعمل منتجا أم متلقيا، وذلك معيارا القصد والقبول، وما يتصل بالسياق المادي والثقافي المحيط بالنص، وذلك معايير الإعلام والمقامية والتناص"[١٢].

مفهوم النصية: (The Concept of texture)

صرحت المراجع بأن أصل كلمة "Text" في اللغة الإنجليزية، وكلمة "Texte" في اللغة الفرنسية ترجع إلى الأصل اللاتيني "Textus" بمعنى "النسيج"، أو "الضفيرة من الشعر"، ومنه تطلق كلمة "Textile" على ما له علاقة بإنتاج النسيج بدءا بمرحلة تحضير المواد، وانتهاء بمرحلة النسيج النهائي وبيعه، وقد ترجمت كلمة "Texte" و "Text" إلى اللغة العربية بكلمة "نص"[١٣]، والأصل اللاتيني يحيل إلى "النسيج" وهذه المادة توحي بدلالات متعددة منها: دقة التنظيم، وبراعة الصنع، والجهد والقصد، والكمال والاستواء[١٤]. وقد أشار رولان بارت[١٥] إلى أن كلمة "Texte" تدلّ على "النسيج" وهذا النسيج يوصف

١١- هو من أهم علماء النص الذي تطور على يده علم اللغة النصي في الولايات المتحدة الأمريكية، كما هو زميل أستاذ روبرت دي بيوغراند بجامعة فلوريدا. ينظر: **مدخل إلى علم لغة النص**، ص ٧.

١٢- سعد عبد العزيز مصلوح، **البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية: آفاق جديدة**، مجلس النشر العلمي بجامعة الكويت، ط ١، ٢٠٠٣م، ص ٢٢٤-٢٢٧.

١٣- محمد إسماعيل بصل، "التراكم العلاماتي بين النص المكتوب والنص المنطوق"، منشور في مجلة **المعرفة**، العدد ٣٧٠، ١٩٩٤م.

١٤- عبد القادر شرشار، **تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص**، ص ١٧، والأزهر الزناد، **نسيج النص: بحث في ما يكون به الملفوظ نصا**، المركز الثقافي العربي، ط ١، ١٩٩٣م، ص ١٢، ومحمد الأخضر الصبيحي، **مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقية**، ص ٢٠.

١٥- ولد رولان بارت (Roland Barthes) في شيربورغ (Cherbourg) ١٩١٥م، أمضى بارت طفولته في بايون في جنوب، وحصل دراسته الابتدائية والثانوية في باريس، عيّن بارت في الكلية الفرنسية عام ١٩٧٧م وتوفي عام ١٩٨٠م. وله عدة مقالات نشرت في المجلات المتعددة، ومن أعماله: **رولان بارت بقلم رولان بارت، كاميرا لوسيدا، تأملات حول التصوير**. ينظر: جون ليشتة، **خمسون مفكرا أساسيا معاصرا من البنيوية إلى ما بعد الحداثة**، ص ٢٥٣- ٢٥٤.

بأنه نتاج يختفي وراءه المعنى، وهنا تبرز خصيصة أساسية وجوهرية، وهي ترابط مكوناته وتشابكها على نحو يشكل وحدته الكلية، فالنص عند رولان بارت: "هو الكتابة، والكتابة علم متعة الكلام، أو لِنَقُل إنه الكتابة نفسها"(١٦). وتلتقي تعريفات علماء لغة النص على خصيصة ترابط النص، وقد توفرت هذه الخصيصة في الدلالة المعجمية لكلمة "Text"، من هنا وصف النص بأنه السطح الظاهري للنتاج الأدبي، ونسيج من الكلمات المنظومة في التأليف والمنسقة، بحيث تفوض شكلا ثابتا، ووحيدا. ولذلك أقبل على هذا التعريف عدد كبير من علماء المحدثين(١٧).

فمن هنا احتل تعريف النص مساحة كبيرة عند المهتمين بلسانيات النص ومنه نحو النص، وسأحاول الإيجاز في هذا الشأن لضيق مساحة البحث، وهناك من ركز على الكتابة بقوله "إن النص هو الكتابة فقط"(١٨). كما ركز بعضهم على النطق، يعني النص هو الكلام المنطوق فقط(١٩).

وقد عرّف هاليداي (Halliday)(٢٠) و رقية حسن (Ruqaiya Hasan)(٢١) أن كلمة نص تستخدم في علم اللغة النصي لتشير إلى أيّ فقرة مكتوبة أو منطوقة مهما كان طولها. وأن تكون وحدة متكاملة وأنه

١٦- أحمد عفيفي، **نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي**، ص ٢٩.

١٧- مثل عمر أبو خرمة وكلامه يدور حول هذا التعريف في كتابه **نحو النص: نقد النظرية وبناء أخرى**، عالم الكتب الحديثة، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص ٤١-٤٢.

١٨- منهم: رولان بارت في كتابه **لذة النص**، ترجمة صفا وحسين سبحان، ص ٦٢-٦٣.

١٩- منهم: بول ريكر (Paul Ricker)، يقول في حدّ النص أو الخطاب: "ألا فلنسم نصا كل ما خطاب تثبته الكتابة".

٢٠- ولد مايكل هاليداي عام ١٩٢٥م في إنجلترا لأسرة جامعية، ودرس اللغات متخرجا في جامعات بكين وإنجلترا ١٩٥٥م، تحصل في ١٩٨١م على جائزة دافيد راسل للبحث المتميز في تعليم الإنجليزية من المجلس الوطني لمعلمي الإنجليزية بأمريكا. وله أعمال تغطي قطاعات لسانية متنوعة منها لسانيات النص والتعليمية والشعرية واللسانيات العامة، وهو صاحب نظرية في النحو تعرف بنظرية النحو النظامي، ألف بالاشتراك مع زوجته هندية الأصل رقية حسن كتابا حول الاتساق في اللغة الإنجليزية في ١٩٨٥م. ينظر: **أعلام اللسانيين المعاصرين**، إدارة عامة.

٢١- رقية حسن (١٩٣١م ـ ٢٠١٥م) كانت أستاذة لغويات، عملت بتدريس اللغويات وشغلت مناصب أستاذ زائر في جامعات عدة في إنجلترا. كان آخر منصب شغلته في جامعة ماكواري في سيدني بأستراليا، وبعد ذلك تقاعدت وبذلك أصبحت أستاذة متمرسة منذ ١٩٩٤م. قامت رقية حسن بالكثير من الأبحاث في مسيرتها المهنية في مجالات الفن الملفوظ، والثقافة، وعلاقة النص والسياق، وعلاقة النص والنسيج النصي، والنحو اللفظي، والاختلاف الدلالي كما نشرت دراسات في هذه المجالات. ومما أنجزته في مجال الاختلاف الدلالي هو ابتكار شبكات نظام دلالي موسّعة لتحليل المعنى في المحادثات الطبيعية بين الناس. ينظر: في R.I.P Ruqaiya Hasan: *A life well lived*, beenasarwar

إذا كانت الجملة وحدة نحوية، فإن النص ليس وحدة نحوية أوسع، أو مجرّد مجموع جمل، أو جملة كبرى وإنما هو وحدة دلالية لها معنى في سياق معيّن، هذه الوحدة الدلالية تتحقق أو تتجسد في شكل جمل، وهذا يفسر علاقة النص بالجملة، فالأخيرة مجسدة للوحدة الدلالية التي يشكلها النص في موقف اتصالي ما، وقد تكون الوحدة الدلالية في جملة واحدة، وقد تكون في أقل من جملة، كما هي الحال في التشبيهات والإشارات والعناوين والإعلانات التي تتكون غالبا من حرف واسم مثل: "للبيع" أو "لا تدخين" وما إلى ذلك، و في معظم الأحيان تشمل الوحدة الدلالية مفاهيم عدّة جمل(٢٢). من هنا فرّق "فانديك" بين الأبنية الصغرى والأبنية الكبرى داخل نص/ خطاب ما.

مفهوم الخطاب: (The concept of discourse)

لقد تعددت مفاهيم مصطلح "الخطاب" بتعدد تصورات المهتمين به، فأول من تطرق لمفهوم الخطاب صراحة هو هاريس من خلال أعماله التي نشرت بعنوان **تحليل الخطاب** *(Discourse analysis)* منطلقا من مفهوم الجملة، ومطالبا بمستوى أعلى للتحليل اللساني الذي يتجاوز نطاق الجملة في إشارة منه إلى الخطاب. يقول دومينيك مانغونو (Dominic Mangano)(٢٣) إن مصطلح "الخطاب"، من حيث معناه العام المتداول في تحليل الخطابات، يحيل على نوع من التناول للغة، أكثر مما يحيل على حقل بحثي محدد، فاللغة في الخطاب لاتعدّ بنية اعتباطية بل نشاطا لأفراد مندرجين في سياقات معينة، والخطاب بهذا المعنى لايحتمل صيغة الجمع. كما أن الخطاب لايمكن أن يكون موضوع تناول لساني صرف، غير "أن الخطاب يتكون من وحدة لغوية قوامها سلسلة من الجمل"(٢٤). وذهب بعض الباحثين إلى أن مصطلح "الخطاب" يرادف مصطلح الكلام (Parole) كما رأى دي سوسير خلال تقسيمه بين اللغة والكلام. فالخطاب هو وحدة لغوية، ودلالية، وتواصلية يقوم المتكلم بإنتاجها في موقف ما(٢٥).

٢٢- هاليداي ورقية حسن، **التماسك في الإنجليزية**، ص ٢٩٣-٢٩٤.

٢٣- وهو عالم لغوي من العلماء الأوربيين، له عدّة كتب في علم النص من أهمها: **معجم المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب**، وترجمه إلى العربية: يحياتن.

٢٤- نفس المرجع.

٢٥- منذر عياشي، **اللسانيات والدلالة** (الكلمة)، مركز الإنماء الحضاري ١٩٩٦م، ص١٠١-١٠٢، كمال بشر، **التفكير اللغوي بين القديم والجديد**، الفرقة الرابعة ، دار الثقافة العربية، ١٩٩٠-١٩٩١م ، ص ٧٤-٧٥.

ما بين النص والخطاب: (Difference between Text and Discourse)

لقد استعمل مصطلح الخطاب (Discourse)، والنص (Text) في الدراسات النصية الحديثة حول بنية اللغة دون تمييز كبير بينهما، كما فرّق بعض الباحثين بين المصطلحين على أسس متعددة. من هنا نجد التفريق في تعريف الخطاب والنص على أسس عديدة، ومن أهمها نذكر في التالي:

أساس الدلالة الاجتماعية:

ذكر بعض اللغويين المحدثين أن التمييز بين النص والخطاب (Text and Discourse) تمييز بسيط جدا، فعند ما تكون مادية اللغة وشكلها وبنيتها هي الموضوع يتجه التأكيد إلى استعمال مصطلح النص (Text)، وحين يكون محتوى اللغة ودلالتها الاجتماعية، هي الموضوع تتجه الدراسة للخطاب (Discourse)[٢٦].

أساس الكتابة:

لكن فرّق بعض الباحثين بين المفهومين على أساس الكتابة، ومن ثم التواصل؛ لأن المدوّن والمكتوب من منظورهم لايحقق شروط عملية الاتصال، لأن المتلقي مفقود ولايكون التأثير عليه مباشرا. فالخطاب هو كل ملفوظ قبل تدوينه[٢٧].

كما ذهب فريق آخر من الباحثين إلى أن النص والخطاب (Text and Discourse) متقاربان جدا في مفهومهما إذ أنهما يشتركان في العديد من المعاني، وأغلب الدراسات ترادف بينهما وتعطيهما تعريفا واحدا، وبحسب رأيي أن الإشكالية بين المفهومين هي إشكالية مصطلحات لا غيرها، فالتفريق بين النص والخطاب ليس صحيحا.

وهذا واضح من تعريف علماء النص والخطاب أن النص أو الخطاب "حدث تواصلي يلزم لكونه نصا أن تتوافر له سبعة معايير للنصية مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف واحد من هذه المعايير وهي: السبك والحبك والقصد والقبول والإعلام والمقامية والتناص"[٢٨]. فهذه المعايير قواعد وأسس يقوم عليها المنطوق أو المكتوب ليكون نصا/ خطابا تواصليا بين المرسل والمتلقي في موقف من مواقف الحياة. فالنص هو البنية الكبرى (Macro-structure) التي تشمل عدّة وحدات لغوية ودلالية وتواصلية. فهي

٢٦- *Critical Discourse Analysis*, by Terry Locke, continuum international publishing group London 2005, P. 13-14.

٢٧- صلاح فضل، **بلاغة الخطاب وعلم النص**، ص ٢٧٨.

٢٨- روبرت دي بوجراند، **النص والخطاب والإجراء**، ص ١٠٦، سعد عبد العزيز مصلوح، **نحو أجرومية للنص الشعري: دراسة في قصيدة جاهلية**، فصول المجلد العاشر، العددان ١-٢، ص ١٥٤، **علم لغة النص**، ص ١٤٦.

أعلى درجة التداولية في اللسانيات النصية (Larger unit of textual linguistics). وقد تبعها كثير من الدارسين العرب وفهموها فهما صحيحا حتى أوضحوها أكثر مما وصل إليها علماء الغرب في كتبهم العلمية، وبحوثهم الأكاديمية، ورسائلهم الجامعية في الدراسات العليا"(٢٩).

معايير النص/ نحو النص: (Text grammar)

مصطلح "نحو النص" هو فرع علم اللغة النصي ومرتبط به، وقد أضيفت كلمة "نحو" إلى كلمة "النص" تمييزا له عن "نحو الجملة"، ولا شك أن نحو النص يتعامل مع الخطاب أو النص الذي توافرت له معاييره السبعة، فإن لم تتوافر لنص ما هذه المعايير فإن تحليله لا يسمى نحو نص. وقد ذكر بعض الباحثين "أن نحو النص واحد من المصطلحات التي حددت لنفسها هدفا واحدا وهو الوصف والدراسة اللغوية للأبنية النصية، وتحليل المظاهر المتنوعة لأشكال التواصل النصي، اشترك بمصطلح نحو النص في تحقيق هذا الهدف بعض المصطلحات الأخرى التي تعنى بذلك أيضًا، منها: "علم النص" و"علم اللغة النصي" و"نظرية النص" كل هذه المصطلحات لمدلول واحد"(٣٠). يقول الدكتور عمر أبو خرمة: "إن مصطلح "نحو النص" لم يكن مركبا لقبيا من كلمتين، هما "نحو" و"النص" بحيث صار المصطلح "نحو النص" علما لقبيا يدل على مفهوم خارج عن معنى جزأيه، بل هو مركب إضافي تكوّن من إضافة كلمة "نص" إلى كلمة "نحو" فنشأ معناه من جمع معنى كل عنصر فيه إلى معنى العنصر الثاني(٣١). فنحو النص نظام مكوّن من سبعة معايير نصية ذكرها علماء علم اللغة النصي، وهي كالتالي:

١- **السبك/ الاتساق**: (Cohesion)

ظهر هذا المصطلح على يد Halliday and Ruqya Hasan في كتابهما "التماسك في الإنجليزية"(٣٢). ونعني به مجموع الوسائل اللسانية التي تحقق الربط بين الجمل، كما يتحقق هذا المعيار عند روبرت دي

٢٩- أحمد عفيفي، **نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي**، ص ٢٧، سعيد بحيري، **علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات**، ص ٩٦، عبد الخالق فرحان شاهين، **أصول المعايير النصية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب**، ص٢٠، **البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية**، ص ٦٩.

٣٠- **نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي**، ص٣١، *Models for Text Grammars*, by Teun A.Van Dijk, p.40

٣١- عمر أبو خرمة، **نحو النص: نقد ونظرية وبناء أخرى**، ص ٢٣- ٢٤.

٣٢- *Cohesion in English*, by Halliday and Ruqya Hasan, published by Longman Group Limited London 1976.
ظهر مصطلح "cohesion" بمعنى "التماسك" على يد هاليداي في اللغة الإنجليزية من حيث اللفظ والمعنى، لكن بعد ذلك ترجمه بعض الباحثين بمعنى "السبك" وأريد به الاتساق اللفظي في النص والخطاب، فهو اسم الجزء بالكل. وسنذكر هذا في تعريف التماسك في ما بعد.

بوجراند بوساطة الترابط الرصفي القائم على النحو في البنية السطحية، حيث مساحة الجمل والتراكيب، والتكرار والحذف والروابط. فالسبك يهتم بظاهر النص، ودراسة الوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرار اللفظي، يقول الدكتور أحمد عفيفي: "إن السبك يعني الكيفية التي يتم بها ربط العناصر اللغوية على مستوى البنية السطحية في النص بحيث يؤدي السابق منها إلى اللاحق"(٣٣).

٢- **الحبك/ الانسجام**: (Coherence)

هو أحد المعايير السبعة لنحو النص، يقصد به التتابع الدلالي للمفاهيم والعلاقات داخل النص، أو الإلصاق بجانب الربط المعنوي. كما هو "عنصر يختص بالاستمرارية فى عالم النص، وأعني بها الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم"(٣٤). فالحبك هو عنصر معبر عن العلاقات الخطية الموجودة بين المعاني في النص وتولده.

وأول من استعمل هذا المصطلح هو Teun A. Van Dijk في كتابه *Text and Context* ثم حدّد مفهومه بشكل خاص عند روبرت دي بوجراند، كما عرّف بوجراند هذا المعيار بقوله: "... أنه يقوم على الترابط الفكري أو المفهومي الذي تحققه البنية العميقة للخطاب، وتظهر هنا عناصر منطقية، مثل: السببية والعموم والخصوص وغيرها، وهي تعمل على تنظيم الأحداث والوقائع داخل بنية النص، وعلى هذا يشمل مفهوم الترابط مفهوم التماسك المعنوي، ولذلك أطلق علماء النص مصطلح "التماسك" على السبك والحبك(٣٥).

التماسك النصي: (Textual Cohesion)

ظهر هذا المصطلح في الدراسات النصية نتيجة عوامل متعددة، فهو نتيجة وهدف وليس وسيلة، كما هو نتيجة لأدوار اللغة المختلفة ابتداء من الحرف إلى أعلى مستوى لغوي، فالدلالي، ثم البنية الكبرى. فالتماسك مجموعة من العلاقات اللفظية والدلالية بين أجزاء النص. تلتحم هذه الأجزاء وتتماسك بعضها مع بعض بحيث إذا غاب هذا الالتحام ظهر النص وكأنه أشلاء وممزّق لارابط بينهما. فالتماسك له أهمية كبرى في النص والخطاب، بل في كل عمليات الاتصال اللغوي، وبدون التماسك لاتسمى الجملة جملة

٣٣- **نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي**، ص ٩٠، **لسانيات النص: النظرية والتطبيق**، ص ٢٣.

٣٤- أحمد محمد عبد الراضي، **نحو النص بين الأصالة والحداثة**، ص ١٠٩. وعمر أبو خرمة، **نحو النص**، ص ٧٨. وسعد مصلوح، **نحو أجرومية للنص الشعري**، ص ٢٨٧.

٣٥- **مدخل إلى علم النص: تطبيقات لنظرية دي بوجراند ودريسلر**، ص ٢٧، صلاح الدين صالح حسنين، **الدلالة والنحو**، ص ٢٧٤.

والنص نصا. وقد قسّم علماء النص التماسك إلى خمسة أقسام منها: ١- التماسك الصوتي، ٢- التماسك المعجمي، ٣- التماسك النحوي، ٤- التماسك الدلالي، ٥- التماسك البراجماتي/ التداولي.

عناصر التماسك

لقد تعددت المحاولات لفهم التماسك، وتصنيف أدواته وعناصره، ومن أبرز من أسهم في هذه المحاولات هاليداي وروبرت دي بوجراند في كتابيهما[٣٦]، وحاولا اقتراح جملة من الروابط التي تحقق التماسك النصي. وهذه العناصر هي: ١ـ الإحالة (Reference)، ٢ـ الاستبدال (Subsititution)، ٣ـ الحذف (Ellipsis)، ٤ـ الوصل/ العطف (Conjunction)، ٥ـ التكرار/ إعادة اللفظ (Recurrence)، ٦ـ التعريف (Definiteness)، ٧ـ التضام (Collocation)، ٨ ـ سياقات النص (Context situations). فالتماسك من أهم المعايير التي تتصل بالنص في ذاته ومن ذاته، يقول الدكتور سعد عبد العزيز مصلوح عن علاقة التماسك بالنص: "ونحن معنيون هنا أصالة باختيار المعيارين المرتكزين على النص في ذاته، وهما السبك والحبك"[٣٧]، أي "التماسك". وعند بوجراند (Beaugrande) ودريسلر (Dressler) يمثلان من الأفكار التي تشير إلى عمليات متجهة صوب مادة النص[٣٨].

٣- **المقصدية**: (Intentionality)

هذا المعيار يتضمن موقف منشئ النص، من كوّن صورة ما من صور اللغة، وقصد بها أن تكون نصا أو خطابا يتمتع بالقصد. وهي ذات تأثير في نشاط الاتصال، وثمة أفكار تشير إلى مستعمل النص، أطلق بعض الباحثين على هذا المعيار اسم "القصدية". وموضوع هذا تحقيق مقاصد منتج النص[٣٩]. يقول: بوجراند (Beaugrande) ودريسلر (Dressler) في كتابهما *Introduction to Text Linguistics* أن "القصدية تعني قصد منتج النص من أيّة تشكيلة لغوية ينتجها؛ لأن تكون قصدا مسبوكا محبوكا، وفي معنى أوسع تشير القصدية إلى جميع الطرق التي يتخذها منتجو النصوص في استغلال النصوص من أجل متابعة مقاصدهم وتحقيقها"[٤٠]. فالمقصدية هي موقف منتج النص لإنتاج نص متماسك ومتناسق، وهذا يعني أن أي كاتب

٣٦- **التماسك في الإنجليزية**، ص ٤-٥، **النص والخطاب والإجراء**، ص ٣٠١-٣٠٢.

٣٧- **البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية: آفاق جديدة**، ص ٢٢٧.

٣٨- **مدخل إلى علم لغة النص: تطبيقات لنظرية دي بوجراند ودريسلر**، ص ٣٠.

٣٩- المرجع السابق، ص ٣٠.

٤٠- عزة شبل محمد، **علم لغة النص: النظرية والتطبيق**، ص ٢٨.

هدفه الأول والأخير من إنتاجه لنص ما، هو إيصال جملة من المقاصد والأغراض للقارئ، ولذلك أشار بعض الباحثين إلى" أن كل حدث سواء كان لغويا أم غير لغوي إما أن يكون محتويا على نية الدلالة، وإما ألا يكون محتويا عليها. والمقصد هو توصيل المفهوم إلى المتلقي أو ربما كان القصد هو طلب شيء ما يعقبه استجابة"(٤١)، ومعنى هذا أن للقصد تأثيرا في بنية النص وأسلوبه، لذلك فإن الكاتب يبني نصه بناء معنيا، ويختار لذلك وسائل لغوية ملائمة. فمن شأنه أن يتضمن تحقيق قصده. وكان ميخائيل باختين (Mikhail Bakhtin)(٤٢) يرى أن النص يتحدد "بعاملين يجعلان منه نصا، وهما "النية/ العزم" و"تنفيذ هذه النية"، وهما يتفاعلان بشكل ديناميكي"(٤٣). وعلى هذا تكمن أهمية القصد في أنه يمثل جزءا مهما في دلالة الخطاب أو النص، بل لا يكتسب النص دلالة إلا بفعل قصد المتكلم وتنفيذه.

٤- **المقبولية**: (Acceptability)

ويعني مدى تفاعل القارئ مع النص وارتباطه به، فالقارئ يكون موقفا "حول توقع نص متماسك ومتناسق"(٤٤). وتربط المقبولية بالمتلقي ومدى حكمه على النص من حيث أنه ذو غاية. والمقبولية بالمعنى الواسع رغبة نشطة للمشاركة في العملية الإنتاجية للنص، حيث يحدث تفاعل بين مقصدية المنتج ورغبة المتلقي في المعرفة، وصياغة مفاهيم مشتركة بينهما(٤٥). وقد عرّف بعض الباحثين الغربيين(٤٦) "أن المراد بالمقبولية تقبلية المستقبل للنص باعتباره متضانا متقارنا ذا نفع للمستقبل، أو ذا صلة به"(٤٧). وهذا يعني أن فكرة المقبولية تتجه جانب المخاطب، أي اكتسابه معرفة جديدة أو قيامه بالتعاون لتحقيق خطة ما. ويستجيب هذا الاتجاه لعوامل، وتتضافر هذه العوامل لحمل المتلقي على قبول النص، وقد حاول بعض الباحثين جمع تلك العوامل المؤثرة في المتلقي، نوجزها في التالي:

٤١- **نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي**، ص ٨٠.

٤٢- ولد باختين في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٨٩٥م وحصل على شهادة الكلاسيكيات ودراسة النصوص وفقه اللغة من جامعة بتروغراد عام ١٩١٨م. يعتبر باختين أستاذا إلى بعد التقديرات، وأحد كبار المنظرين في الأدب في القرن العشرين. كما هو فيلسوف اجتماعي وسياسي. توفي باختين في آزار ١٩٧٥م. ينظر: **خمسون مؤلفا**، ص ٣١ .

٤٣- محمد الأخضر الصبحي، **مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقية**، ص ٩٧.

٤٤- **مدخل إلى علم اللغة النصي**، ص ٩٤.

٤٥- حسام أحمد فرج، **نظرية علم النص**، ص ٥٢.

٤٦- Robert de Beaugrande and Dressler in their book, *Introduction to Text Linguistics*, published by Longman, London and new York 1981.

٤٧- **مدخل إلى علم لغة النص: تطبيقات لنظرية دي بوجراند ودريسلر**، ص ١٢.

١- معرفة المتلقي بنوع النص، ومعرفة من هو المنتج؟

٢- معرفة المتلقي لقصد المنتج، أي دلالة عامة لنص ما، التي سمّاها فاندائك بالبنية الكبرى.

٣- تعتمد نسبة قبول النص على مدى مهمات النص بالنسبة إلى متلقيه.

٤- تعتمد نسبة قبول النص على الخلفيات الفكرية والأيديولوجية التي يتمتع بها مستقبل النص.

٥- تعتمد نسبة قبول النص على الخصائص النفسية التي يتمتع بها المتلقي، ذلك بأن الحالة النفسية تؤثر في الحالة الذهنية.

٦- كما تعتمد نسبة المقبولية على المقام الثقافي والاجتماعي، ومرغوبية الأهداف(٤٨).

فهذا المعيار يُعد المتلفظ المشارك إلى تأول نص يأتي ليندرج في عالمه، بالإضافة إلى هذا هناك معيار التناصية لايكتسي نص ما دلالته إلا من خلال علاقته بغيره من النصوص، كما يأتي لاحقا.

٥- التناص: (Intertextuality)

ظهر مصطلح التناص (Intertextuality) لدى "ميخائل باختين" مفهوما لا اصطلاحا، وأطلق عليه اسم الحوارية (Dialogism)، وقد حاول الباحثون الغربيون تحديد مفهوم التناص (Intertextuality) وأخذ مصطلح (Intertextuality) بالظهور بين الباحثين منهم الباحثة البلغارية Julia Kristeva(٤٩) فقد عرّفت "بأنه ترحال للنصوص وتداخل نصي في فضاء نص معين تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى"(٥٠). ثم تعددت آراء الباحثين في تعريف مصطلح (Intertextuality) فبعضهم ترجمه إلى "التناص" وآخرون إلى "التناصية"، وفريق ثالث إلى "النصوصية"، ورابع إلى "المتناص"، وخامس إلى "بينصية"، كما اتفقوا على أن هذه التعريفات كلها تبرز معنى التفاعل، والتعالق، والالتقاء، والتداخل بين نص حاضر ونصوص أخرى مغيبة سبقته، واستفاد منها هذا النص، ولذلك عرّف بعض الباحثين "أن يمثل النص عملية استبدال من نصوص أخرى"(٥١).

٤٨- **أصول المعايير النصية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب**، ص ٦٢-٦٤، **نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي**، ص ٨٧-٨٩.

٤٩- ولدت كريستيفا في بلغاريا عام ١٩٤١م وذهبت إلى باريس كطالبة عام ١٩٥٦م. وانغمست في الحياة الفكرية الباريسية، فحضرت ندوات رولان بارت وانضمت إلى كتّاب ومفكرين فتأثرت منهم حتى برزت جوليا كريستيفا أول الأمر في أواخر الستينات مفسرة لأعمال ميخائيل باختين. من أهم الأعمال التي نجدها في مجال الدراسات النصية كتابها **علم النص**. انظر: **خمسون مفكرا**، ص ٢٩١-٢٩٢.

٥٠- جوليا كريستيفا، **علم النص**، مع ترجمة فريد الزاهي، مراجعة عبد الجليل ناظم، المغرب، دار توبقال للنشر، ط٢، ص ٩-١٠.

٥١- صلاح فضل، **بلاغة الخطاب وعلم النص**، ص ٢٩٥.

مظاهر التناص وعلاقتها بالنص

تحدث بعض علماء الغربيين عن مظاهر التناص وعلاقتها بالنص، فوضعوا نماذج لهذه المظاهر والعلاقات في صور عديدة، ومن أهمها:

١- أن التناصية تفترض حضور نص في نص آخر بواسطة الاستشهاد والتلميح.

٢- تعني النصية المصاحبة (Paratextuality) بما يحيط النص في حد ذاته، أي أطرافه: "العناوين، التقديم، الصور... إلخ".

٣- تحيل المتناصية (Metatextuality) على علاقة التعليق (Commentary) من قبل نص آخر.

٤- أما النصية الجامعة (Architextuality) وهي أكثر تجريدا، فتضع النص في علاقة مع مختلف الأصناف التي ينتمي إليها(٥٢).

٥- النصية المتعالية (Hypertextuality) هي العملية التي بمقتضاها يضاف نص ما إلى نص سابق دون أن يكون ذلك تعليقا، وهذا يغطي ظواهر التحويل أو المحاكاة.

٦- المناقلة (Transposition) ظهر هذا المصطلح على يد رولان بارت في كتابه "متعة النص" ورأى أن النص عبارة عن النسيج من الاستشهادات(٥٣).

على غرار ما بين الخطاب، فالتناص يستعمل أحيانا للدلالة على مجموع النصوص التي ترتبط فيما بينها بعلاقات تناصية.

كما هناك تمييز عند بعض الباحثين بين التناصية والتناص(٥٤): فالتناص هو مجموع الأجزاء المستشهد بها في مدوّنة ما، في حين أن التناصية هي نظام قواعد ضمنية يقوم عليه هذا التناص، ومن ثم التناص يوسع مجاله ليشمل نصوصا أخرى سابقة كانت أو معاصرة، وحتى لاحقة، ليصبح بذلك النص فضاء تلتقي فيه عدّة نصوص من عصور متباينة.

٥٢- ومثّل بعض الباحثين الأروبيين لهذا الصنف من التناص بـ "القصيدة" لبودلير، يقول الباحث دومينيك مانغونو: وهذه من أهم نموذج في التناص، لما فيها آثار الرمزية والغنائية.

٥٣- **أصول المعايير النصية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب**، ص ٦٩-٧٢.

٥٤- مانغونو، **المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب**، ترجمة: محمد يحياتن، ص ٧٨.

٦- **المقامية**: (Situationality)

يرتبط هذا المعيار بالجانب التداولي أو المقام الذي أنشئ من أجله النص، وتتمثل في العوامل التي تجعل النص مرتبطا بما يمكن استرجاعه من خلاله(٥٥). ويعدّ مفهوم هذا المعيار جزءا واحدا من مفاهيم السياق في اللسانيات النصية عند المحدثين، بناء أنهم يقسمون السياق إلى السياق اللغوي (Linguistic Context)، وغير اللغوي (Non Linguistic Context)(٥٦).

أ- السياق اللغوي (Linguistic Context) نوع من السياق وجزء مهم وسائد في اللغة عند البنيويين وعلى رأسهم "فرديناند دي سوسير" الذي يعبر عن السياق اللغوي بمصطلحات عديدة، منها: "Syntagmatic, Paradigmatic and Associative" كل هذه المصطلحات تعبر عن "النظم اللفظي للكلمة، وموقعها من ذلك النظم داخل اللغة"(٥٧).

ب- السياق غير اللغوي (Non Linguistic Context): ظهر هذا النوع من السياق بشكل مستقل على يد فيرث (Firth)(٥٨) وسمّاه "السياق الاجتماعي" (Socail Context) كما سمّاه "سياق الموقف"

٥٥- **نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي**، ص ٨٤-٨٥.

٥٦- محمد أحمد حماد، **مدخل إلى التفكير الدلالي**، ص ٣١-٣٢، محمود فهمي حجازي، **مدخل إلى علم اللغة**، ص ١٥٩.

٥٧- *Course in General Linguistics*, by Ferdinand de Saussure, published by McGraw, HIII Book Company New York, Toronto London, p. 122.

٥٨- إن جون روبيرت فيرث (١٨٩٠-١٩٦٠م) هو خبير لغوي بريطاني وشخصية رئيسة في تطوير علم اللغة ببريطانيا. يعرف إجمالا بعلم اللغة الفيريثياني وبنظريته السياقية عن المعنى وأفكاره فيما يخص المتلازمات والأنظمة التعددية. إن المتلازمة هي ترتيب للكلمات والعناصر اللغوية الأخرى في اللغة. أما الأنظمة التعددية فهي طريقة تحليلية تبنى على الرأي القائل بأن النظام المفرد للمبادئ والإضافات لا يمكن شرحها أنماطا في اللغة. وفي أواسط الثلاثينات اعتقد فيرث بأن علم الفونيمات (علم الفونولوجيا) العروضية هي طريقة منظمة للنماذج الصوتية في اللغة. وهذا النظام مبني على الفونيم (وحدة صوتية أو مجموعة أصوات تشكل وحدة صوتية متميزة) وتنشأ عناصر كهذه: طبقة الصوت، وسرعة الكلام المحسوبة بعدد المقاطع بالثانية والجهورية الصاخبة.

ولد فيرث في كيغلي يورك شاير بإنكلترا. وكان أستاذ اللغة الإنكليزية في جامعة البنجاب بلاهور، بباكستان حاليا من ١٨٩١إلى ١٩٢٨م وكان أقدم محاضر في علم الأصوات في الكلية الجامعة بلندن من ١٩٢٨إلى ١٩٣٨م. وكان رئيس قسم علم اللغة العام في جامعة لندن من ١٩٢٨ إلى ١٩٥٦م. وتتضمن أعماله المنشورة الكلام (١٩٣٠م) وألسنة الرجال (١٩٣٧م). وتظهر كتاباته العديدة الأخرى في صفحات في علم اللغة ١٩٣٤- ١٩٥١م (١٩٥٧) وأوراق منتخبة لـ: J.R. Firth 1952-1959 (1968) انظر: **خمسون مفكرا**، ص ٣١١.

(Context of Situation) والحقيقة أن سياق الموقف هو المعيار السادس من المعايير النصية، الذي أطلق عليه علماء الغرب "المقامية" لكن هذا القسم من السياق غير مقبول عند البنيويين الأروبيين، لكن البلومفيلديين يهتمون بهذا القسم اهتماما بالغا. وقد وصف الباحثون في علم النص "المقامية" بأنها واحدة من أهم العناصر التي تقوم عليها النصية لقناعتهم بأن دراسة النص لن تكون كافية بالوقوف فقط عند بنيته النحوية أو الدلالية الداخلية، بل لابد من دراسته على مستوى الخطاب، وهذا يعني الاهتمام ببنية السياق والعلاقات بينها وبين النص"(٥٩).

٧- **الإعلامية**: (Informativity)

يتعلق هذا المعيار بمقدار التوقع أو المعرفة أو عدم المعرفة، وتختلف درجة الإعلامية وكثافتها من نص لآخر، فكلما خرج النص عن المألوف والمتوقع ازدادت درجة الإعلامية(٦٠). وعلى هذا لابد أن يحمل النص دلالات يريد المبدع إيصالها للمتلقي عن طريق لغة النص، إذ لو جاء نص فارغ المحتوى من الدلالة، فليس نصا، ولاعلاقة لنحو النص به. بل لابد لهذه الدلالات أيضًا من الترابط والانسجام. فالإعلامية ترتبط بإنتاج النص واستقباله لدى المتلقي ومدى توقعه لعناصره. كما أشار "دي بوجراند" إلى أن "المدى الذي تكون فيه العناصر/ المعلومات، داخل النص، معتادة في معناها وفي أسلوب التعبير عنها وطريقة عرضها، وهي عندئذ تمثّل كفاءة إعلامية منخفضة الدرجة، أو تكون غير معتاد فتمثل كفاءة إعلامية عالية الدرجة"(٦١). وعلى هذا وصفت "الإعلامية" بثلاثة مفاهيم:

أ- الإعلامية بالمعنى العام تمثل الرغبة في الإخبار عرضا أوليا لدى الكاتب، فكل نص يقدم خبرا ما، والنصوص كلها تتقاطع في هذه الوظيفة(٦٢).

ب- الإعلامية بمعنى الجدّة في عرض المعلومات وعدم التوقع، وتدل على ما يجده المتلقي في النص.

ج- الإعلامية بمعنى الدعاية، إيجابا أو سلبا لشخص ما، أو لفكرة ما، أو لمذهب ما(٦٣).

٥٩- **مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقية**، ص ٩٩، **أصول المعايير النصية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب**، ص٦٦.

٦٠- قروحي لمياء، "انسجام الخطاب في رواية الجازية والدراويش: دراسة تطبيقية في ضوء علم النص" جمهورية الجزائر الديموقراطية الشعبية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي سنة ٢٠١٢م، ص ٩.

٦١- **مدخل إلى علم لغة النص: تطبيقات لنظرية دي بوجراند ودريسلر**، ص١٢، حسام فرج، **نظرية علم النص**، ص٦٦.

٦٢- المصدر السابق ٦٦.

٦٣- **نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي**، ص ٨٦-٨٧.

أما عن علاقة هذه المعايير بالنص أو الخطاب أو بنحو النص فعلى قول بعض الباحثين نجد بعضها يتصل بالأسلوبية مثل "التناص". وبعضها بالبلاغة مثل "المقامية والإعلامية". وبعضها بمنتج النص ومتلقيه مثل "القصد والقبول". كما أن بعضها يتعلق بالنص في ذاته ومن أجل ذاته، وهما معيارا "السبك والحبك"، فالنص عند اللغويين الغربيين نسج هجين من العناصر اللغوية والأدبية والنقدية والثقافية والنفسية والسياقية. كما تعود بعض هذه العناصر إلى اتساق النص وتماسكه الداخلي، وبعضها إلى خصائص سياقية ومقامية التي تتعلق بمقاصد النص وأغراضه التبليغية.

٢- جهود علماء العرب في الدراسات النصية

أما الكلام عن العرب في هذا المجال فأمر يطول شرحه وتفصيله، لكن من الضروري أن يمرّ البحث في هذا المقام بإشارات خفيفة، لأنهم كانوا سباقين في تحليل النص القرآني المنزل من الله، والكشف عن أسراره بالفصاحة والبيان، والنظر في إعجاز تماسكه ككل موحد. فعندما نبحث عن الدراسات النصية عامة ونحو النص بمعاييره خاصة في ثقافتنا العربية، نجد أن علاقة التراث العربي بالدراسات النصية وبنحو النص علاقة وثيقة الصلة، لأن العلوم الإسلامية عامة والعلوم العربية خاصة ظهرت وتطورت تحت ظل النصوص المنزلة من الله تعالى المحفوظة من التدخل الإنساني، فعندما نزل القرآن الكريم كان العرب يقرأونه ويفهمون معانيه ويحسون بجماله بطريقة تلقائية تعتمد على السليقة وعلى الذوق الفطري، لأنه نزل بلغتهم التي جبلوا عليها، واستخدموا أدواتهم التعبيرية التي يخاطب بها بعضهم بعضا، وكانوا يفهمون كلام النبي صلى الله عليه وسلم لأنه واحد منهم، وكانوا كذلك يقرأون الشعر الجاهلي والإسلامي المعاصر لهم، فإنهم لم يعتمدوا على اللغة فقط في فهم النص أو في تذوقه، بل اعتمدوا على الموقف الخطابي الذي تعد اللغة إحدى عناصره، كما كان الاعتماد الأكبر على الحس اللغوي الجمالي الذي لايمكن أن يكتسب عن طريق التعلم، لأنه في ظل توافر هذا الحس اللغوي أو الحس الجمالي يكفي التلميح عن التصريح، وتسد فيه الإشارة مسد العبارة، ويكون السكوت عنه أحيانا أبلغ من المنطوق به، وتنم في الأحوال أكثر مما تعبر عنه الأقوال، فعندما دخل الناس في دين الله أفواجا، فلم يكتسب الحس اللغوي للغة العربية، وفسدت السليقة اللغوية والجمالية حتى فشا اللحن، فقامت طائفة من اللغويين لتستخرج القواعد اللغوية من النصوص، وطائفة من الفقهاء لتستنبط الأحكام الفقهية، وطائفة من المفسرين لتفسير القرآن وطائفة المحدثين لشرح الأحاديث النبوية الشريفة، وطائفة من البلاغيين لإبراز الأسرار البلاغية للكلام، كلهم جعلوا "النصوص" هدفا أساسيا،

تحت منهجين "التعليمي والتفسيري أو التحليلي"[٦٤] فالمنهج الأول تعبير عن عرض القواعد، والاستشهاد عليها، والتمثيل لها حسب الحاجة، وهذا المنهج نجده في كتب النحو التعليمية، والتي من خلالها اتهم بعض الدارسين الغربيين نحاة العرب بأنهم نحاة الجملة. أما المنهج الثاني فهو المنهج الذي نجده عند اتجاهات متعددة، ومن أهمها:

١- اتجاه لغوي

وهذا الاتجاه يهتم بالتماسك في الجمل أكثر من النصوص. ومثال ذلك نجد عند سيبويه (١٤٨ـ١٨٠هـ)، وابن هشام الأنصاري (٧٠٨-٧٦٠هـ). ولم يغفلوا في بحوثهم القيمة حال المتكلم ودور المخاطب ولا النظر في سياق الجمل، وأكثروا من الحديث عن الجمل البسيطة والطويلة والفروق النحوية الدقيقة بينها.

٢- اتجاه بلاغي ونقدي

وهذا الاتجاه يهتم بهذه الدراسات تحت مصطلحات عديدة منها: التأليف والتركيب، الصياغة والتصوير، النسج والتخبير، ثنائية اللفظ والمعنى، النظم والترتيب. ومنظروا هذا الاتجاه الجاحظ (١٥٩-٢٥٥هـ)، وابن رشيق القيرواني (٣٩٠-٤٦٣هـ)، وابن سنان (٤٢٣-٤٦٦هـ)، ابن طباطبا (٢٥٠-٣٢٢هـ)، أبو هلال العسكري المتوفى (٥٣٩هـ)، والآمدي (٣٧٠هـ)، حتى القاضي عبد العزيز الجرجاني (٣٢٢ هـ- ٣٩٢ هـ).

٣- اتجاه كلامي

وجدنا عند هذا الاتجاه الاهتمام بهذه الدراسات في حضن الإعجاز القرآني، فتكلم هذا الاتجاه في وجوه الإعجاز، ومن أهم وجوه الإعجاز هو النظم والترتيب، التأليف والتركيب وثنائية اللفظ والمعنى. ومعظم أصحاب هذا الاتجاه كانوا معتزلة مثل إبراهيم النظام (١٦٠-٢٢٩هـ)، العتابي (٢٢٠هـ)، بشر بن المعتمر (٢١٠هـ)، الرماني (٢٩٦-٣٨٤هـ)، الزمخشري (٥٣٨هـ)، قاضي عبد الجبار المعتزلي (٣٥٩-٤١٥هـ)، كما نجد في هذا الاتجاه بعض علماء أهل السنة منهم الخطابي. قرّر أبو سليمان الخطابي (٣١٩-٣٨٨هـ) أن النظم القرآني مكوّن من العناصر الثلاثة وهي كالتالي:

٦٤- أحمد محمد عبد الراضي، **نحو النص بين الأصالة والحداثة**، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص١٤٤-١٤٥، عبد الرحيم الكردي، **قراءة النص: مقدمة تاريخية**، مكتبة الآداب، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص١٨-١٩.

١- لفظ حامل: فاللفظ البليغ لابد أن يكون حاملا للمعنى.

٢- معنى به قائم: فالمعنى البليغ لابد أن يكون قائما باللفظ البليغ.

٣- رباط لهما ناظم: وهذا اعتماد منه للربط بين اللفظ والمعنى، أو ما يسمى "بالنظم" عند عبد القاهر الجرجاني (٤٠٠-٤٧١هـ) الذي قرّر أن الإعجاز إنما هو في نظم القرآن الكريم، والنظم هو: حسن ترتيب الكلمات في الجملة، بحيث تكون كل كلمة في محلها المناسب. وهو يقوم على معاني النحو والبلاغة. يقول: "واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علمًا لا يعترضه الشك، أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب، حتى يعلق بعضها على بعض، ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك، هذا ما لا يجهله عاقل، ولا يخفى على أحد من الناس"(٦٥).

٤- اتجاه فلسفي

اعتبر أصحاب هذا الاتجاه "النسج والتخبير، التطابق والتماثل، والتداخل" من أهم وسائل النص ومظاهره عند العرب. ولذلك تحدّث حازم القرطاجني (٦٠٨-٦٨٤هـ) عنها عامة، وعن التخاييل في القصيدة بصفة خاصة. وقد قسّم حازم القرطاجني "التخاييل" إلى التخاييل الجزئية والتخاييل الكلية. فالتخاييل الجزئية: هي رصد علائق الألفاظ والمعاني في مستوى معاني جهة واحدة حيث لايكاد البحث يتجاوز حدود العبارة. أما التخاييل الكلية فهي تفاعل المعاني مع المعاني في الهيئة المؤلفة لها، والنظام الشامل للقصيدة في ما أسماه النظم(٦٦). ويرى حازم أن التماسك بين وحدات القصيدة يقوم على مبدأ الانتقال من المعاني الجزئية إلى المعاني الكلية عبر علاقات دلالية كعلاقة الجزء بالكل، وعلاقة الخاص بالعام وما إلى ذلك. كما يحدد حازم القرطاجني أربعة أقسام للتماسك بين أجزاء القصيدة:

١- قسم متماسك العبارة والغرض.

٢- قسم منفصل العبارة والغرض.

٣- قسم متماسك العبارة ومنفصل الغرض.

٤- قسم متماسك الغرض ومنفصل العبارة.

٦٥- عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، تحقيق: محمود محمد شاكر، شركة القدس للنشر والتوزيع، ط٣، ١٩٩٢م، ص٥٥.

٦٦- الأخضر جمعي، **اللفظ والمعنى في التفكير النقدي والبلاغي عند العرب**، من منشورات اتحاد العرب، دمشق، ٢٠٠١م، ص ٢٠٩.

وقد قرّب أبو حازم تقسيمه لنص ما، بتقسيم ابن قتيبة الدينوري (٢١٣-٢٧٦هـ)، للنص الشعري بقوله: "قال أبو محمد تدبّرت الشعر فوجدته أربعة أضرب: ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه، ضرب منه حسن لفظه وحلا، فإذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى، ضرب منه جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه، وضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه"(٦٧). ويبدو جليا أن التماسك جسر التحرك عند حازم القرطاجني كما هو انتظام بنية النص في مستوياته المتعددة عند ابن قتيبة، فالاهتمام الخاص ببنية النص عندهما هو اللفظ والمعنى، يقول العرب في شأن اللفظ والمعنى "أن الألفاظ قوالب المعاني، والمعاني هي الساكن، فلاخير في بيت لاساكن فيه(٦٨).

وذهب كثير من علماء العرب إلى أن نظرية النص كانت مستمرة منذ ظهور اهتمام علماء العرب بالنص القرآني، كما نجد هذا الاهتمام عند المفسرين وشراح الحديث وشراح كلام العرب من شعر ونثر، وكذلك البلاغيين. يقول الدكتور أحمد محمد عبد الراضي "فالبلاغيون، فإنهم أشد اتصالا بالنص أو الأسلوب"(٦٩). لقد تطورت هذه الدراسات على يد كثير من العلماء والمفسرين المشتغلين بالنصوص القرآنية، من أهمهم عبد القاهر الجرجاني دراسة نظرية أكثر من التطبيقية، وإبراهيم بن عمر البقاعي (٨٨٥هـ)، وسعيد حوى (١٣٥٤-١٤٠٩هـ) دراسة تطبيقية أكثر من النظرية. يقول الدكتور عمر أبوخرمة: "علاقة التراث العربي بنحو النص، خلال عدّة حقب تاريخية متباعدة:

أولها: في القرن الخامس الهجري في **دلائل الإعجاز** في علم المعاني لعبد القاهر الجرجاني، فهو من أوائل الكتب نجد فيها قربا شديدا بمفاهيم نحو النص، كما عرضته الدراسات المعاصرة، فهو يعد مصدرا، وعمدة في هذا الباب(٧٠).

وثانيها: في القرن التاسع الهجري في تفسير البقاعي الموسوم بـ: **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،** لإبراهيم بن عمر البقاعي. يعد كتاب البقاعي من أبرز الكتب التي التفتت إلى قضايا نحو النص على مستوى التطبيق في التراث العربي، فهو أول من سبق في مضمار الربط بين الجمل في المتتالية النصية،

٦٧- ابن قتيبة، **الشعر والشعراء**، تحقيق ومراجعة: نعيم زرزور ومفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م، ج ١، ص ٢٥.

٦٨- عبد الخالق فرحان شاهين، **أصول المعايير النصية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب**، ص ١١٣.

٦٩- أحمد محمد عبد الراضي، **نحو النص بين الأصالة والحداثة**، ص ١٤٩- ١٥٠.

٧٠- عمر أبو خرمة، **نحو النص: نقد النظرية وبناء أخرى**، ص ٤١-٤٢.

سواء على مستوى ربط السورة الواحدة أو ربط السور المتتالية المتباعدة، حتى أنه ربط سورة الناس بسورة الفاتحة.

ثالثها: في القرن الرابع عشر الهجري في **الأساس في التفسير** لسعيد حوى، الذي ألفه سنة ١٣٩٨هـ، وصدرت نسخته الأولى سنة ١٤٠٥هـ. وكتاب **النص القرآني: من الخطاب إلى النص** لوليد منير الذي صدر سنة ١٤١٨هـ عن المعهد العالمي للفكر الإسلامي في القاهرة"[٧١]. فقد كان اهتمام الدارسين على مر العصور في الثقافة العربية بالوحدة القرآنية من خلال جهود العلماء في إنشاء تفسيرات للقرآن الكريم وتماسك الآي بالآي داخل السورة، بمفهوم تماسك السورة بالسور داخل القرآن الكريم على اعتبار عده نصا كليا متماسكا منسجما واحدا، لأن علماء العرب المشتغلين بالقرآن الكريم أدركوا تماما على أنه نص منزل من الله، وأن التعامل معه لايتم إلا بالنظر إلى تماسكه وترابطه، وإن كان التماسك لديهم مفهوم بداهة من العلم به كتابا لكن يجري على سننهم في التخاطب، ولذلك عرّف علماء العرب النص بعدّة تعريفات.

مفهوم النص عند علماء العرب لغة

قال ابن منظور: "النص رفعك الشيء، يقال: نص الحديث ينصه نصا، أي رفعه"[٧٢]. ونص المتاع نصا، أي: جعل بعضه على بعض، وأن أصل النص أقصى الشيء وغايته، والنص: التعيين على شيء ما، ومنه قول الفقهاء: نص القرآن، ونص السنة، أي: ما دل على ظاهر لفظها عليه من الأحكام. وهذه المعاني التي أوردها علماء العرب تدور حول الرفع والظهور، والترتيب والتعيين، والسرعة، وأقصى الشيء ومنتهاه[٧٣].

أما في اصطلاح العلماء فهناك تعريفات متعددة لايتفق العلماء على تعريف معيّن، وإذا كانت آراء النحاة القدامى قد تعددت واضطربت حول تعريف الجملة، فقد تعددت آراء المحدثين في تعريف النص. ولقد عرّف علماء النص "النص" معتمدين على مكوناته الجملية وتتابعها. وبعضها يضيف إلى تلك الجمل الترابط والتماسك. وبعضهم: يعتمد على التواصل النصي والسياق بكل أنواعه. وبعضهم: يعتمد على

٧١- عمر أبو خرمة، **نحو النص: نقد النظرية وبناء أخرى**، ص ٥٥-٧٧.

٧٢- محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ، ج ٧، ص ٩٧.

٧٣- نهلة فيصل الأحمد ، **التفاعل النصي التناصية: النظرية والمنهج**، سلسلة كتابات نقدية، الهيئة العامة لتصور الثقافة، ص١٢.

الإنتاجية الأدبية، أو فعل الكتابة. وبعضهم: على جملة المقاربات المختلفة والمواصفات التي تجعل الملفوظ نصا. هكذا يكون لدينا حصيلة كبرى من التعريفات التي تقربنا من ملامحه.

وقد جاء في التعريف الصادر عن مجمع اللغة العربية أن النص "هو القطعة من الكلام طالت أو قصرت" يقول أحمد محمد عبد الراضي نقلًا عن الدكتور صبحي الصالح(٧٤): "القطعة من الكلام طالت أو قصرت" فإطلاق النص على صيغة الكلام الأصلية وردت من المؤلف معنى مستحدث للنص. كما يقول الدكتور أحمد عفيفي(٧٥): "ينبغي أن يكون المفهوم الأساسي لأي نص أنه وسيلة لنقل الأفكار والمفاهيم إلى الآخرين، فهو ينقل شيئًا ما إلى المخاطب، وهو ليس هدفا في حد ذاته، وإنما هو طريق للخطاب"(٧٦). كما عرّف أستاذ حماسة عبد اللطيف بقوله: "أن النص لايصبح نصا إلا إذا كان رسالة لغوية تشغل حيزا معينا فيها جدلية محكمة مضفورة من المفردات والبنية النحوية، وهذه الجدلية المضفورة تؤلف سياقا خاصا بالنص نفسه ينبث في المرسلة اللغوية كلها"(٧٧). كما يكون النص متماسكا منسجم الأجزاء بعضها ببعض حسب تعريف أستاذ الأزهر الزناد بقوله "النص نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض، وهذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة في كل واحد هو ما نطلق عليه مصطلح "نص" أو بعبارة أخرى هو نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض. هذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة في كل واحد"(٧٨). وذهب بعض علماء العرب المحدثين إلى أن النص ليس تتابع الجمل ولامجرد كتابة الألفاظ ولاالمعاني، فهذه من العناصر التي يتكوّن بها النص ولذلك عرّف الدكتور صلاح فضل النص بقوله: "النص ليس مجرد لغة، وليس مجرد اتصال، وليس مجرد كتابة، وليس تتابعا لجمل مترابطة يراعي فيه الظروف الخارجية أحداثا وزمانا ومكانا، إنه يتكون من كل ذلك وأكثر"(٧٩).

٧٤- صبحي إبراهيم الصالح (١٣٤٥-١٤٠٧هـ) رئيس المجلس الإسلامي الأعلى في لبنان، شهيد أهل السنّة، أمين عام رابطة علماء لبنان، الأمين العام للجبهة الإسلامية الوطنية في لبنان، مفكر إسلامي، عضو المجامع العلمية في القاهرة ودمشق وبغداد وأكاديميّة المملكة المغربية. ولد في طرابلس (لبنان)، سنة ١٩٢٦م.

٧٥- أحمد مصطفى عفيفي عوض من مصر، ولد عام ١٩٥٤م في القرنيين، الباجور، منوفية. تخرج في كلية دار العلوم ١٩٧٧م، وحصل منها على الماجستير ١٩٨٣م، والدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى ١٩٨٧م.

٧٦- **نحو النص: اتجاه جديد**، ص ٣١ .

٧٧- أحمد محمد عبد الراضي، **نحو النص بين الأصالة والحداثة**، ص ٢٤.

٧٨- الأزهر الزناد، **نسيج النص: بحث في ما يكون به الملفوظ نصا**، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٣م، ص ١٢، فضل حسن عباس وسناء فضل عباس، **إعجاز القرآن الكريم**، وزارة التعليم العالي في الأردن، ص ١٢٢-١٢٣.

٧٩- أحمد محمد عبد الراضي، **نحو النص بين الأصالة والحداثة**، ص ٢٤.

وعلى كل ما سبق يمكن لنا أن نقول: إذا كان النص هو وسيلة لغوية لنقل الأفكار، ولتحقيق التواصل بين المتحدث أو الكاتب، والمتلقي. فإنه يطلق على العملية التعبيرية التي تكون الوحدات اللغوية قوامها، وساد النظر إلى أن أعلى وحدة لغوية، ودلالية، ثم البراجماتية، وأشدها استقلالا هي البنية الكبرى/ النص. فالنص: ما لا يحتمل إلا معنى واحدا أو لا يحتمل التأويل. كما هو منقول من الباحثين العرب أن أصل معنى النص في الثقافة العربية قائم على فكرة "الإظهار، والرفع" فذهبوا إلى أن مصطلح النص في العربية يطلق على ما به يظهر المعنى.

مفهوم الخطاب عند علماء العرب

يتنوع مفهوم الخطاب في التراث العربي تنوعا واضحا، ففي التعبيرات العربية القديمة نراه يحمل مدلول الرسالة، فيقال: هذا خطاب فلان لفلان، ومرة أخرى عبر به عن الخطبة التي يلقيها الخطيب، "ويرتبط الخطاب بالخطابة في النصوص التراثية، فالخطابة في ميدان النثر بمنزلة القصيد في ميدان الوزن.إذ ورد في القرآن الكريم بصيغ متعددة، منها: صيغة الفعل في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾(٨٠). والمصدر في قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾(٨١). وفي قوله تعالى عن داود عليه السلام: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾(٨٢) فقد عدّ المفسرون صفة "فصل الخطاب" من الصفات التي أعطاها الله تعالى لداود، معتبرا إياها من علامات حصول قدرة الإدراك والشعور لأن فصل الخطاب عبارة عن كونه قادرا على التعبير عن كل ما يخطر بالبال، ويحضر في الخيال، بحيث لا يختلط شيء بشيء(٨٣). ومما سقناه يتضح أن الخطاب مفهوم أوسع وأشمل من الجملة، وإنما يتحدد معناه المفهومي بناء على التلفظ أو العلاقة بين طرفين: مخاطِب ومخاطَب، فالخطاب في هذا الفهم ذو طابع كلي وشمولي، لايتوقف على البعد اللساني وحده، ولا على البعد الاجتماعي والتاريخي الذي يعتبر النص انعكاسا لحركة الدلالة في التاريخ، كما لايقتصر على البعد التداولى المعني بالتواصل في موقف محدد، ولكنه يماذج بين هذه الأبعاد نظرا وتطبيقا"(٨٤).

٨٠- سورة الفرقان، الآية: ٦٣.

٨١- سورة النبأ، الآية: ٣٧.

٨٢- سورة ص، الآية: ٢٠.

٨٣- عبد الهادي بن ظاهر الشهري، **إستراتيجيات الخطاب**، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ٢٠٠٤م، ص٣٤-٣٥.

٨٤- محمد عبد الباسط عيد، **النص والخطاب: قراءة في علوم القرآن**، ص ١٧.

معايير النص/ الخطاب عند العرب

تحدّث علماء العرب عن المعايير النصية بالتفصيل في كتبهم اللغوية والبلاغية والنقدية كما اهتم بعض الفلاسفة بهذه الدراسات اهتمامًا كبيرًا حتى نجد في التراث العربي اهتماما أكثر من الغرب بدون تسمية خاصة. فالمعايير النصية عند علماء العرب أكثر من المعايير النصية عند الغرب، لأن علماء العرب لم يحددوا هذه المعايير في السبعة بل يضيف إليها عددًا كبيرًا من المعايير النصية الأخرى حتى تفوق العرب بكثرة المعايير النصية، لكن لانطيل الكلام في هذا المجال بل نحاول في هذا البحيث أن نقدم نبذة عن المعايير السبعة في التراث العربي ومدى الاهتمام بهذه المعايير في نص ما عند العرب، لأنها لم تعرف عندهم بشكل مستقل أو بأسماء محددة، بل عرفت على أيدي علماء النص في النصف الثاني من القرن العشرين.

التماسك النصي

التماسك النصي من أهم المعايير التي نجدها عند العرب خلال تعاملهم بالنصوص. وقد قسّم اللغويون التماسك إلى القسمين الرئيسيين هما "السبك والحبك"، فالسبك عندهم يشتمل على بحوث لفظية أو سطحية، تتماسك أجزاء النص بعضها ببعض حتى يظهر السبك السطحي أو التماسك اللفظي في البنية النصية، ثم قسّم هذا القسم (السبك) إلى التماسك الصوتي، والتماسك المعجمي، والتماسك النحوي، والتماسك المطبعي. أما الحبك عندهم فهو يشمل كل بحوث معنوية ودلالية، ولذلك يطلق عليه التماسك الدلالي. وهذا النوع من التماسك يتعلق بالترسيل المعنوي والتحتي العميق لبنية النص أو الخطاب عند العرب(٨٥).

عناصر التماسك عند العرب

فالتماسك عند العرب مكون من العناصر التالية:

١- ملفوظ. ٢- مفهوم. ٣- روابط. ٤- دلالة جامعة.

فكلام العرب عن اللفظ وما يلازمه "ملفوظ". وكلام العرب عن المعنى "مفهوم". وكلامهم عن علاقة الكلمة بالكلمات وعلاقة الحرف بالكلمات في الجملة وغيرها انسجام وتماسك نصي. وكلام العرب عن المقام "دلالة جامعة"(٨٦). بالإضافة إلى هذه العناصر نجد عند العرب الإحالة والحذف والوصل/ العطف من عناصر التماسك النحوي. والتكرار/ إعادة اللفظ، والتعريف، والتضام والاستبدال

٨٥- عبد الخالق فرحان شاهين، **أصول المعايير النصية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب**، ص ١١٣-١١٥.

٨٦- حامد عبد الهادي حسين، **البلاغة والمعنى في النص القرآني**، ص ٩٠.

من عناصر التماسك المعجمي كما أن السجع والتجنيس والوزن والقافية من أهم عناصر التماسك الصوتي. وسياقات النص والدلالة الجامعة من أهم عناصر التماسك الدلالي عند العرب، فالتماسك في التراث العربي من أهم المعايير التي اهتم بها العرب في النصوص العربية.

المقصدية في التراث العربي

القصد من مادة: "ق ص د" بمعنى استقامة الطريقة(٨٧)، والقصد: إتيان الشيء، تقول: قصدته، وقصدت له، وقصدت إليه بمعنى واحد(٨٨). كما ذهب إليه ابن منظور قائلا: "أن القصيدة من القصد التام، ولذلك سمي الشعر التام قصيدا، لأن قائله جعله من باله قصد له قصدا، ولم يحتسه حسيا على ما خطر بباله، وجرى على لسانه"(٨٩). فالقصد يتضمن معاني عديدة من أهمها: معنى داخلي مضمر، يتمثل في النية التي يضمرها الإنسان لفعل شيء ما. ومعنى خارجي مظهر يتمثل في العمل الذي يقوم به الإنسان نفاذا وتجسيدا لتلك النية/ الغرض.

أما الشيخ عبد القاهر الجرجاني فقد استعمل كلمة "توخي" في الخطاب بين الناس وكان يعلم أن الناس إنما يكلم بعضهم بعضا، ليعرف السامع غرض المتكلم ومقصوده، كما تحدّث عن معاني النحو في النظم فقال "وليس النظم إلا توخي معاني النحو، أو إن النظم ليس شيئًا غير توخي معاني النحو"(٩٠). وقد عبر علماء العرب القدامى عن القصد بمصطلحات كثيرة منها: الغرض، والحاجة، والمراد، والفائدة، والتوخي، وغيرها، بل كانوا يستعملون كلمة "بلاغة" بمفهوم "المقصدية" فعلم البلاغة عند العرب هو علم المقاصد العربية(٩١). فالقصد عند العرب هو التعبير عن هدف النص أو تضمن موقف مبدع النص واعتقاده أن مجموعة الصور والأحداث اللغوية التي قصد بها أن تكون نصا يتمتع بالانسجام والالتحام، وأن يمثل هذا النص وسيلة من وسائل متابعة خطة معينة للوصول إلى غاية بعينها، وتلك الغاية مقصدية(٩٢).

٨٧- الخليل بن أحمد الفراهيدي، **العين**، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي: مادة: "قصد" ج٥، ص٣٥٤.

٨٨- أبو نصر الجوهري، **تاج اللغة وصحاح العربية**، مادة: "ق ص د"، ج ١، ص ٤٤٢.

٨٩- **لسان العرب**، مادة: "قصد"، ج ٣، ص ٣٥٤.

٩٠- **دلائل الإعجاز**، ص ٥٩٢.

٩١- مصطفى ناصف، **اللغة والتفسير والتوصل**، عالم المعرفة، ص ١١.

٩٢- **نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي**، ص ٧٩-٨٠.

المقبولية/ الاستحسان في التراث العربي

المقبولية من مادة "ق ب ل" وجاءت هذه المادة في المعاجم العربية لعدّة دلالات، لكن المقصود هنا مواجهة المتلقي لنص ما. يقول أبو منصور الأزهري[٩٣] نقلا عن الزجاج في قول الله تعالى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾[٩٤] "أي: بتقبل حسن، ولكن قبول محمول على قوله: قبلها قبولا حسنا، يقال: قبلت الشيء قبولا: إذا رضيته"[٩٥]. وقد استعمل العلماء هذه المادة لمعان عديدة، منها: ١- معنى الرضاء بالشيء. ٢- المحبة له. ٣- ميل النفس إليه. وقد أولى علماء العرب من اللغويين والبلاغيين والنقاد هذا المعنى عناية كبيرة في وقت مبكر من نشاطهم النقدي، ويأتي هذا الاهتمام من اهتمام الشعراء والخطباء أنفسهم منذ العصر الجاهلي، بأن يقع كلامهم موقع القبول من السامع. ثمة إشارات كثيرة يجدها الباحث منتشرة في مصنفات علماء العرب في التراث العربي القديم، تركز على هذا الأمر، لتدل على درايتهم به، ونجد هذه الإشارات في عدّة مجموعات ومنها:

المجموعة الأولى:

مستقيم حسن، ومستقيم كذب، ومستقيم محال، ومحال كذب: نجد هذه المصطلحات عند النحاة عامة وعند سيبويه خاصة خلال تقسيمه لجمل عربية، وسميت الجمل بهذه التسميات عند متلقي هذه الجمل لمقبوليتها وصدق معانيها[٩٦].

المجموعة الثانية:

الابتعاد عن الضعف، والابتعاد عن التنافر، والابتعاد عن التعقيد، هذه هي مبادئ التقبلية في البنى النصية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، إذا ما توافرت في البنى التركيبية المكوّنة للخطاب اكتسبته رضا وقبولا عند المتلقي[٩٧]. وعلى هذا نستطيع أن نقول: إن القبول/ المقبولية للخطاب في التراث العربي تعتمد على ذوق المتلقي وثقافته والمقام الذي يقال فيه.

٩٣- وهو صاحب **تهذيب اللغة** المتوفى سنة ٣٧٠م.

٩٤- سورة آل عمران، الآية: ٣٧.

٩٥- **تهذيب اللغة**، مادة: "ق ب ل"، ج ١١، ص ٥٤٠.

٩٦- عبد الخالق فرحان شاهين، **أصول المعايير النصية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب**، ص ١١٣.

٩٧- **الإيضاح في علوم البلاغة**، ص ١٥-١٧.

التناص في التراث العربي

ذكرت مادة "تناص" بصورتها في المعاجم العربية لعدّة معان، فقد ورد في **معجم تاج العروس**: "تناص القوم: ازدحموا"(٩٨)، أى بؤرة القوم أو وجود وسط معيّن أو مكان، فالمعنى الدلالي لهذا المصطلح هو "أن النص يعدّ بؤرة لتفاعل مجموعة من النصوص السابقة عليه والمتزامنة معه التي يستدعيها ويستحضرها في سياقه"(٩٩). فالتناص هو عمل تحوّل وتشرّب لعدّة نصوص يقوم به نص مركزي يحتفظ بمركز الصدارة في المعنى، ويتضمن العلاقات بين نص ما ونصوص أخرى مرتبطة به، وقعت في حدود تجربة سابقة. وقد عرّف بعض المحدثين من العرب بقولهم "التناص هو عملية تفاعل النصوص وتداخلها، وثمة نوعيات للتناص، ومستويات مختلفة، انطلاقا من كونه مكونا من مكونات البناء والاشتغال النصي، وهو يسعف الرؤية على قابليات البلاغة والإبلاغية في آن معا، والتناص في أفضل حالاته اشتغال استعاري في بناء النص، يتسم بالعمق الثقافي والفكري والمعرفي في صوغ القيم والأغراض في مداها الاجتماعي والتاريخي، وبذلك فالتناص علاقة تحديث للنص(١٠٠).

مظاهر التناص في التراث العربي

نسلم أنه لم يقع العرب القدامى على مصطلح "التناص"، إلا أننا نجد في التراث النقدي والبلاغي عند العرب مظاهر كثيرة لهذه الظاهرة، وإن كانت بأسماء أخرى متعددة. فقد كان العرب يتحدثون عن تداخل الكلام، واقتباسات أجزاء الكلام من الكلام، والتضمين، والنقائض والمعارضات، والصنعة الشعرية، وحتى السرقات الشعرية عدّت من أهم أنماط "التناص"، كما أن هناك علاقات بين أجزاء النص، ولذلك عرّف الدكتور تمام حسان "هو علاقة تقوم بين أجزاء النص بعضها ببعض، كما تقوم بين النص والنص، كعلاقة السؤال بالجواب، وعلاقة العام بالخاص، وعلاقة التلخيص بالنص الملخص، وعلاقة المسودة بالتبييض، وعلاقة المتن بالشرح، وعلاقة الغامض بما يوضحه، وعلاقة المحتمل بما يحدد

٩٨- **تاج العروس**، مادة: "نصص"، ج ٩، ص ٣٧١.

٩٩- نوار محمد إسماعيل، **تأويل الجمل القرآنية الواحدة**، ص ٢٥٠، دومينو، **المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب: دراسة معجمية**، ص ١٠٠.

١٠٠- أبو هيف عبد الله، "الحداثة في الشعر السعودي المعاصر: التناص في قصيدة سعد الحميدين نموذجا"، **عالم الفكر**، المجلد ٣٠، ص ٢١٣-٢١٩، فاطمة الشيدي، **المعنى خارج النص أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب**، دار نينوى، دمشق، ٢٠١١م، ص ١٣٥-١٣٦.

معناه، هذه العلاقة الأخيرة هي المقصودة بعبارة: "إن القرآن يفسر بعضه بعضا"[١٠١]. وهكذا سيكون للتناص بهذا المفهوم دور كبير في نص ما عند العرب حيث سيؤكد وجود الروابط على مستوى النص الواحد، وذلك إذا ما لاحظنا علاقة الجواب بالسؤال وعلاقة المفسر بالمفسر، كذلك سيخدم المعنى في تقليل الاحتمالية الدلالية، أو ربما تحديد المعنى الذي يغمض على المتلقي، وقد فطن نقادنا القدامى إلى هذا المفهوم وعبروه بتعبيرات مختلفة وبعدّة أسماء، والطريف أن مفاهيم مظاهر التناص عند العرب تقترب كثيرا من مفهوم التناص الغربي المعاصر.

المقامية في التراث العربي

المقامية من المعيار التي اهتم بها علماء العرب بوجه خاص حيث عدّوه شرطا لتقويم الكلام واختيار الأنسب والأفضل منه وفقا للمقام. وقد استمد البلاغيون القدامى وعلى رأسهم "بشر بن المعتمر" يقول في صحيفته: "وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام مقال"[١٠٢]. ويقول: "وينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها بين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"[١٠٣]. وبناء على ذلك، عدّ بشر بن المعتمر من أوائل من أدرك أهمية المقام وضرورة الأخذ به من أجل أن يحظى الخطاب بالفهم والقبول عند المخاطب، وهذا أمر لا يختلف فيه أحد بل هو مما يصر اللغويون المحدثون على مراعاته[١٠٤]. وألحّ الجاحظ وابن طباطبا وقدامة بن جعفر وابن وهب الكاتب[١٠٥] وأبو هلال العسكري وابن رشيق القيرواني، وغيرهم من العلماء القدامى في مواضع كثيرة في مؤلفاتهم على وجوب الأخذ بمبدأ "لكل مقام مقال" والملاءمة بين الخطاب شعرا ونثرا، وبين من يتوجه به إليهم. ثمة مقولات تمخض عنها التفكير النقدي والبلاغي عند العرب القدامى يمكن أن تعدّ أصولا تراثية لمعيار "المقامية"، ولعل أشهرها

١٠١- **نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي**، ص ٨٢-٨٤.

١٠٢- أبو عثمان الجاحظ، **البيان والتبيين**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ومكتبة المثنى، بغداد، ط٢، ١٩٦٠م، ج ١، ص ١٣٦.

١٠٣- المرجع السابق، ج ١، ص ١٣٨-١٣٩.

١٠٤- كمال بشر، **التفكير اللغوي بين القديم والجديد**، ص ٣٥، **دراسات في علم اللغة**، ص ٥٧.

١٠٥- هو أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري القرشي (١٢٥-١٩٧هـ)، وهو من أصحاب الإمام مالك، جمع بين الفقه والحديث والعبادة.

المقولتان: "لكل مقام مقال"، و"مطابقة الكلام لمقتضى الحال". لا شك في أن العرب القدامى قد فطنوا إلى أن اللغة ظاهرة اجتماعية يمكن تحليلها في إطار المواقف الاجتماعية المختلفة التي يسمى كل منها "مقاما"، وتبعا لذلك فإن صورة "المقال" تختلف بحسب "المقام" الذي يقال فيه.

الإعلامية/ الإخبارية عند العرب

الإعلامية مصطلح منسوب إلى دي بوجراند، مفاده أن تؤدي الواقعة التابعة لخيار واقع في منطقة الاحتمال العليا، يعدّها الإدراك من أشد الوقائع المرشحة احتمال إلى نقل إعلامية من الدرجة الأولى تكون مائلة في النصوص(١٠٦). أما جذور هذا المعيار فنجدها عند العرب في التراث النقدي والبلاغي عبر مستوياتها، منها:

المستوى الأول:

فيما سماه النقاد القدامى بالبيان أو الإفهام أو الفائدة من الكلام التي يتوخى المتكلم إيصالها إلى المخاطب(١٠٧).

المستوى الثاني:

يتحقق عادة في الخطاب الإبداعي، ويتمثل لدى القدامى فيما دعوه بحسن البيان، أو حسن الإفهام، أو حسن الإفادة، إذ تكون الإعلامية عندئذ بمعنى الجدّة والإبداع والخروج على المألوف ومخالفة الواقع في التعبير، ويقودنا هذا السياق إلى الكلام على محاولة النقاد القدامى للتفريق بين الخطاب الاعتيادي أو العام والخطاب الأدبي.

المستوى الثالث:

أن القرآن الكريم هو كتاب أنزل بلسان عربي مبين، وهو نص عربي لا يضارعه واحد من النصوص الأخرى، فكلمة "القرآن" إعلامية لنص القرآن كله، كما أن أسماء السور إعلامية لها لأنها تشير إلى ما سيذكر في تلك السورة، وهذا ما نجد عند مفسري القرآن الكريم.

خلاصة البحث ونتائجه

ملخصا لكل ما سبق من المعايير النصية في التراث العربي والغربي، يمكننا أن نقول: لقد كان العرب يهتمون بالنص بعدّة معايير نصية. معايير لغوية ، ودلالية، وبلاغية، وهناك المعايير الفقهية التي

١٠٦- نعمان بوقرة، **المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب: دراسة معجمية**، عالم الكتب الحديثة، ص٨٩.

١٠٧- عبد الخالق فرحان شاهين، **أصول المعايير النصية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب**، ص ١٢٥-١٣٩.

يستنبطون بها المسائل الفقهية، من إشارة النص، ودلالته، واقتضاء النص وظاهره. كما هناك المعايير التفسيرية، يفسرون بها النص القرآني المقدس، يفككونه للوصول إلى النتيجة، ثم يربطونه بأوله مع وسطه، ووسطه بآخره. فنتائج النص القرآني تعتمد على أسبابها. بالإضافة إلى هذه المعايير هناك المعايير السبعة التي تشترك فيها العرب والغرب. يمكن لنا أن نقول "هذه بضاعتنا ردّت إلينا" ونخلص كل ما سبق في النقاط التالية:

١- حاول البحث عرض عدد من المعايير النصية، والقواعد الأساسية التي يتقوّم بها أي نص من النصوص عند الغربيين، ثم النظر في التراث العربي للبحث عما يمكن أن يعدّ أصولا معرفية لها.

٢- إن الدراسات النصية بدأت عند الغربيين منذ النصف الثاني من القرن العشرين على أيدي كبار علماء البنيويين عامة وعلماء نحو الجملة خاصة.

٣- وصل البحث إلى أن المحدثين من علماء لغة النص يقتربون من النقاد والبلاغيين العرب القدامى اقترابا شديدا في تعاملهم مع النصوص.

٤- كان العرب القدامى يهتمون بكل المستويات اللغوية خلال التحليل النصي، ولذا نستطيع أن نقول: إن الدراسات النصية لها جذور ثابتة في التراث العربي القديم لأنهم اهتموا بالنص القرآني وحرصوا على فهمه فهما صحيحا.

٥- وصل البحث إلى أن رواد هذا المجال ومؤسسيه كانوا علماء العرب القدامى من الجاحظ إلى الآن.

٦- وعندما أثر علماء العرب القدامى على علماء غير العرب خلال تطور هذه النظرية، فتأثر علماء العرب المحدثين من علماء غير العرب، لأنهم تتلمذوا على أيدي كبار منظري هذه النظرية في العصر الحديث.

٧- وصل البحث إلى أن العلماء الغربيين ركزوا على المعايير السبعة في الدراسات النصية، أما العرب فلغتهم غنية، فلها عدّة معايير نصية، كما هناك المعايير الخاصة بالنحو العربي، وهناك معايير خاصة بالبلاغة العربية، وهناك معايير خاصة بالتفسير، وحتى هناك معايير خاصة عند الفقهاء.

٨- وأخيرا يمكن أن أقول إن هذا كله جهد متواضع وسعي محتاج إلى النقد والتقويم ولايمكن أن يكون بحثا نافعا إلا بعد أن يقوّم الأساتذة الأجلاء والقراء الأفاضل ما فيه من نقص، لأن المتلقي أيضا يبدع النص كما يبدع المرسل أو المبدع نصا ما.

The Seven Criterias in Arabic and English and their Significance in Textual Studies

Studies in general text and text grammar have received great focus in modern linguistics in recent times. The methods adopted in these studies have been found helpful in evaluating literary and religious texts evolving out of different traditions.

This paper attempts to explain the terms, "textuality" or "text grammar", and their given principles in the English and Arabic linguistic studies and traces the evolution of this discussion in modern linguistics since the last century. Thereafter, the writer surveys the rich literature of classical Arabic linguistics. He demonstrates that essential components of textual linguistics have conspicususly been present in classical Arabic literary studies. He shows, by citing great masters of the Arabic literary tradition, that these giants skillfully used textual aspects, inter-alia, to establish the Divine Origin and literary inimitability of the Qur'ān.

****